LINGUISTIC ISSUES

ISSN Online: 2773-2886 | ISSN Print: 2773-2894

A biannual peer reviewed academic non-profit and open access journal on Various Language and Linguistic Issues

Article title: The problem of Arabization and the crisis of Westernization - Abdullah Kharet - a model

Author(s): Hadja bennaceur

Source: Linguistic Issues Journal(LIJ) | مجلة قضايا لغوية, Vol. 5, No. 1(Special), (April 2024), PP251-265

Publisher: Center for Scientific and Technical Research for the Development of the Arabic Language(CSTRDAL) - Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria(LRUALIA)

Url: https://qadaya-lugawiyat.dz/index.php/LIJ/article/view/122

How to cite(APA): bennaceur, hadja. (2024). The problem of Arabization and the crisis of Westernization - Abdullah Kharet - a model. مجلة قضايا لغوية | Linguistic Issues Journal, 5(01(Special), 251–265. https://doi.org/10.61850/lij.v5i01(Special).122

Usage Agreement: By using the LIJ journal you are indicating your acceptance of the Terms & Conditions of Use, available at: https://qadaya-lugawiyat.dz/index.php/LIJ/Usage_Agreement

Qaḍāyā luġawiyaẗ (Linguistic Issues) is licensed under a **Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License**

This content is **Open Access**

Disclaimer

The opinions expressed in the texts published are the author's own and do not necessarily express the views of the Editorial team of the Journal of **Qaḍāyā luġawiyaẗ** (Linguistic Issues)

The Authors assume all responsibility for the ideas expressed in the materials published

Authors warrant that the rights of third parties will not be violated and that the publisher will not be held legally responsible should there be any claims for compensation

Copyright © **Qaḍāyā luġawiyaẗ (Linguistic Issues)** 2024 - All Rights Reserved

Center for Scientific and Technical Research for the Development of the Arabic Language(CSTRDAL)

Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria(LRUALIA)

For more information about LIJ, please visit: https://qadaya-lugawiyat.dz or contact us: contact@qadaya-lugawiyat.dz

إشكالية التعريب وأزمة التغريب - عبد الله شريط أنموذجا -

The problem of Arabization and the crisis of Westernization -Abdullah Kharet a model-

حاجة بن ناصر*
جامعة ابن خلدون - تيارت- الجزائر

Hadja Bennaceur
Ibn Khaldoun University - Tiaret
bennaceurhadja@yahoo.fr

تاريخ استلام المقال:2023/12/29	تاريخ القبول: 2024/05/03	تاريخ النشر:2024/04/30

ملخص

من الآثار التي خلفها الاستعمار الفرنسي بالجزائر انقسام المثقفين إلى فئتين دعاة التغريب ودعاة التعريب، وأدى هذا الانقسام إلى بروز جدل حول ضرورة إتخاد اللغة العربية باعتبارها اللغة الأم كمقوم أساسي لتأسيس مجتمع مثقف يساير التغيرات الحاصلة في الميدان العلمي والتكنولوجي، واعتمادها في الأطوار التعليمية، ومن المفكرين الذين خاضوا في ثنايا وشجون هذه الإشكالية المفكر الجزائري عبد الله شريط كواحد من أهم دعاة التعريب في الجزائر إيمانا منه بدور سياسة التعريب في الحفاظ على الهوية والثقافة الوطنية، فما هي الدوافع التي حملت مفكرنا للقيام بالحملة التعريبية في الوطن، ماهي أهم دعائم هذا المشروع، وهل القول بالتعريب يتعارض مع القول بازدواجية اللغة، هل نجحت هذه السياسة، ما هي مالآلتها ومآخذها.

الكلمات المفاتيح: التعريب؛ التغريب؛ اللغة؛ التعليم؛ ازدواجية اللغة؛ الثقافة الوطنية.

Abstract

One of the effects left by French colonialism in Algeria was the division of intellectuals into two groups: advocates of Westernization and advocates of Arabization. This division led to the emergence of a debate about the necessity of adopting the Arabic language as the mother tongue as a basic component for establishing an educated society that keeps pace with the changes taking place in the scientific and technological field, and adopting it in educational stages, and among thinkers. Who waded into the folds and tribulations of this problem, the Algerian thinker Abdullah Chrate, as one of the most important advocates of Arabization in Algeria, out of his belief in the role of the Arabization policy in preserving national identity and culture. What are the motives that led our thinker to carry out the Arabization campaign in the homeland? What are the most important pillars of this project? The statement of

* **المؤلف المرسل:** حاجة بن ناصر **البريد الإلكتروني:** bennaceurhadja@yahoo.fr

Arabization contradicts the statement of bilingualism. Has this policy succeeded, what is its effect, and its drawbacks?
Keywords: Intimidation; Westernization; language; education; bilingualism; national culture.

1. مقدمة

لا يستقيم حال الأمة ولا يمكنها أن تنهض وتواكب العصر وتواجه تحدياته إلا إذا خرج شعبها من حالة القصور الذاتي إلى حالة الوعي على النحو الذي ينكشف من خلاله قدرة الإنسان على التفكير في واقعه وفي مستقبله، وعلى تحمل المسؤولية تجاه نفسه وغيره وأمام مجتمعه، ومن دون التخلي والتجرد من ماضيه ومقوماته الأصلية، فالإنسان مدعو إذن للمزاوجة بين الأصالة والمعاصرة، ومدعو إلى الخوض في تجربة تنويرية يبرز من خلالها قدرته على النقد والمراجعة الذاتية لكل أشكال التسلط والسيطرة، من أجل التأسيس لمنظومة فكرية وثقافية أصيلة قادرة على التحدي والمواجهة لكل تيار أو نزعة تودُ أن تقتلعها من جذورها وتطمس شخصيتها، ولعل أهم المقومات الأصلية التي يسلط عليهم أي مستدمر أو عدو أنظاره ويجعلهم محورا لأهدافه هما التربية والتعليم كركيزة أساسية لقيام الأمم واللغة باعتبارها مقوما أساسيا للأمة بها تتواصل وعن طريقها تبدع وتؤثر في العالم، ولقد تعرضت اللغة العربية في الجزائر في مرحلة الإستدمار الفرنسي إلى التدمير وإلى هجوم شرس قصد غرس لغته كلغة رسمية ومحو كل ما يعبر عن ثقافة وأصالة وهوية الشعب الجزائري.

وامتدت هذه الحملة إلى ما بعد الاستقلال من قبل دعاة التغريب الأمر الذي دفع بالتيار المناقد دعاة التعريب إلى التصدي له ومجابهته دفاعا عن العروبة الجزائرية وعن ثقافتها، ومن الأقلام المميزة والتي أثرت في صرح التعليم والتربية بالجزائر خاصة والعرب قاطبة قلم المفكر الجزائري عبد الله شريط وهو واحد من كبار المفكرين الجزائريين المعاصرين ممن داع صيتهم بكتاباته الفكرية القيمة ودفاعه عن أصالة وهوية الشعب الجزائري، وهو ما تعكسه جهوده المضنية في الدفاع عن اللغة العربية واهتماماته بالترجمة ودعوته إلى مقاومة الفرنكفونية والنهوض بالتربية والتعليم وباللغة الأم مؤمنا بأن إحياء ماض الأمة وتوحيد شملها ومسايرتها الركب الحضاري لن يكون إلا بفرض لغتها، ولعل أهم دافع لاهتمام عبد الله شريط بواقع التعريب و مشكلاته في الجزائر هو ما خلفه الاستعمار الفرنسي من مشاكل وأزمات وسياسة التجهيل التي عايشها الشعب الجزائري طيلة فترة الاستعمار لذلك من الواجب حسب مفكرنا أن تنتهج الجزائر وبمعية مثقفيها سياسة جديدة للتأسيس لهوية وثقافة وطنية، انطلاقا من محاربة التغريب واعتماد مبدأ التعريب، في جميع الأطر والمجالات التربوية والثقافية والإدارية وغيرها...، فما هي العوامل والآليات المعتمدة من قبل المفكر عبد الله شريط لتحقيق هذا المشروع؟ أي استراتيجية كفيلة بتحقيق نجاح هذا المشروع؟ ومن ثم ما هي حدود ومآلات التعريب بالجزائر؟.

2. ضبط مفهوم التعريب:

حملت كلمة التعريب دلالات مختلفة ومتنوعة تشير إلى ثراء المصطلح وعمق معناه، ومصطلح التعريب من العربية كأن نقول كلمة معربة للدلالة على كلمة ليست لها وجود في اللغة العربية "وبذلك يعرف التعريب (اللفظي) بأنه عملية صرفية قياسية تعتمد لفظة أصلها غير عربي تضم إلى اللغة العربية، بشرط وزنها على أحد الأوزان العربية." (الصيادي، 1985، ص93).

فالتعريب يخص كل كلمة أعجمية بلغة غير العربية وينتقل إلى هذه اللغة وذلك بإيجاد مقابلات لها وإخضاعها إلى قوالب وقواعد اللغة العربية.

ولقد كان العرب قديما متمسكون باللغة العربية لغة الأم ولغة الكتاب المقدس، كما جمعتهم علاقات حضارية وتجارية مع شعوب وأمم أخرى ممن يتكلمون باللسان غير العربي، منها اللسان الفارسي، العبري والهندي وغيرهما، ونتج عن التبادل الحضاري المشترك بين عدة أمم تبادلا لغويا، واقتحام الكلمات الأعجمية للساحة اللغوية العربية.

فبحث الإنسان العربي عما يقابلها في لغته الأصلية، وفي العهد الأموي عهد الخليفة المأمون هارون الرشيد أضحت الحاجة إلى التعريب ضرورة ملحة لتشجيع العرب آنذاك على اقتناء العلوم وتعلمها عن طريق تشجيع حركة الترجمة لأمهات الكتب من اللغة الفارسية واللاتينية وغيرها إلى اللغة العربية، وأنشأ بيت الحكمة لإقبال العرب على ثقافات غيرهم وكمركز للتعريب وبذلك يتخذ مفهوم التعريب دلالة حضارية كونية شاملة غايتها بلوغ الرقي الحضاري والتقدم العلمي بكل ما يحمله من إيداعات ومبادرات فكرية وعلمية "وما حصل عليه الوطن العربي في ذلك العصر من تقدم أو تطور واكتشافات... دليل واضح على قابلية الفكر العربي استيعاب العلوم بمختلف أصنافها ". (الصيادي، 1985، ص93).

3. جذور وإرهاصات التعريب في الجزائر: الدافع إلى التعريب:

يعتبر التعريب المشكل الأكبر سطوا والهاجس الأكثر إلحاحا للعديد من الدول العربية الراغبة في الخروج من قوقعة التخلف والركود إلى صرح التنمية والتقدم وذلك لأن اللغة لم تعد مجرد وسيط للخاطب والتفاهم بين الذّوات، ولا تقتصر وظيفتها على النقاش والتواصل فحسب، بل أصبحت اليوم وأكثر من أي وقت مضى المرآة العاكسة لثقافة وعلوم الجماعة الناطقة بها.

ولعلّ أهم الأسباب الدّاعية إلى التغريب في الجزائر هو اجتياح الحركة الاستعمارية وغزوها لثقافة البلاد إذ استخدمت أساليب غاشمة وسياسة هوجاء لتدمير الواقع الثقافي، هذا علاوة على طول مدة استيطان الاستعمار الفرنسي للأراضي الجزائرية، مكنت من فرض لغته وزرع ثقافة وإيديولوجيته، فعل جاهدا على الغلق والقضاء على كل مركز أو مؤسسة تساهم في تعليم وتثقيف

الشعب الجزائري، كالزوايا والمساجد وتفكيك الحلقات الدراسية كي يعم الجهل وتنطفئ كل بادرة وشعلة علمية، وتتعطل كل مسيرة تنويرية وبالمقابل أنشأت مدارس فرنسية تعتمد برامج فرنسية وبلغتها بهدف تعليم فئة من الجزائريين لخدمة أغراضها وسياستها حسب ما رسمته وأطرت له برامجها التعلمية والتعليمية ومن أجل نشر ثقافتها وتعاليمها ومبادئها لفرنسة الشعب الجزائري، نتج عن السياسة التعليمية الاستعمارية انشقاق الجزائريين إلى فئتين فئة داعية إلى التعليم المزدوج اللغة (العربية والفرنسية) مبرزة موقفها بالانفتاح على ثقافات الآخر واحتكاك الثقافة العربية الإسلامية بالثقافة والحضارة الغربية ومنها الفرنسية للاستفادة من تجارب الغرب والاطلاع على علومهم وتراثهم لكن يشترط هذا الانفتاح المحافظة على الأصالة.

ويبرر مصطفى الأشرف إقبال الجزائريين على الثقافة الفرنسية وتعلم لغتها لسد الفراغ الثقافي والعوز الحضاري الذي تسبب فيه المستعمر، إذ استولى على جميع مؤسسات وأجهزة الدولة الجزائرية بما فيها التعليم كركن أساسي يتوق من خلاله المواطنين التشبع من الثقافة الوطنية، وشعورهم بالحاجة إلى التعلم والمعرفة والتحرر من سلطات الجهل ولو بلغة غير لغتهم الأصلية قادهم إلى استعارة اللغة الفرنسية بدلا من اللغة العربية المقصاة كأداة للتعليم "فالجزائريين وجدوا أنفسهم بعد مضي عقود من السنين على الاحتلال مضطرين إلى إشباع حاجاتهم الفكرية والثقافية...، وقد سبق القول بأن اللغة القومية فقدت مكانتها الأولى وهذا أمر غير مستغرب في ظروف السيطرة الأجنبية المباشرة." (الأشرف، 2006، ص429).

والفئة الثانية دعت إلى التعريب الشامل للمحافظة إلى هوية وأصالة الأمة الجزائرية وغرس الثقافة الوطنية مؤمنة بأن السبيل الأنجع في القضاء على الإشعاع والغزو الثقافي الفرنسي هو إلغاء اللغة الفرنسية من كافة أطر ومؤسسات الدولة الجزائرية، وأن اختيار اللغة الفرنسية كلغة تعليمية هو ترسيخ لفرنسة الجزائريين ومن ثم القضاء على مبادئهم وقيمهم، وإن يتحقق هذا المطمح في نظر هذه الفئة إلا بالتصدي للمسخ الكولونيالي والثورة الفكرية التي من شأنها إستراجاع السيادة القومية وإلغاء كل تبعية أجنبية خاصة عندما بلغ الانحياز للفرنسة من قبل ثلة من المثقفين الجزائريين وإنبهارهم بأدابها وما تحمله من أفكار وأساليب تعبيرية ومن هؤلاء عبد الحميد ابن باديس "لقد رفض التيار الفرنكفوني تحت ضغط الحداثة العمل على إحياء الثقافة التقليدية، بل تخلى عنها لأن سياسة الاندماج أرادت خلق أقلية مفرنسة تتأثر بالنموذج الثقافي الفرنسي وحده، غير أن عددا منهم تفطنوا لأغراض الاستعمار واخذوا يقاومون الثقافة الاستعمارية". غالم وآخرون، 2006، ص40).

ورغم الجهود التي بذلتها جمعية العلماء المسلمين للتصدي ولمقاومة حملة الاستعمار الشرسة للغة العربية وكذا الطبقة البورجوازية الجزائرية المفرنسة من فتح المساجد والكتاتيب والحلقات إلا أنها حالت دون أن تحقق أهدافها المسطرة بعد الاستهدافات التي تعرضت لها من قبل المستعمر، وزعم

ذلك لم تتوقف مقاومة جمعية علماء المسلمين للاستعمار الفرنسي فحسب بل امتدت إلى ما بعد الاستقلال لتواجه المنبهرين بالثقافة الفرنسية والحرصين على نشرها في الجزائر على أساس أن اللغة العربية عاجزة عن الارتقاء إلى الدرجة العلمية للعلوم وغير قادرة على تدريس الموارد العلمية، وبالتالي عرقلة مواكبة الركب الحضاري، وحنين هذه الفئة للغة الفرنسية وعدولهم عن ثوابت الأمة هو ما عطل حركة التعريب في الجزائر، "كل هذه العوامل جعلت مشروع التعريب يتأرجح بين الإقبال عليه والإحجام عنه، الأمر الذي كلّف العناصر الأصلية من المعلمين والمتعلمين الكثير من التضحيات في سبيل إنجاح هذا المشروع." (ديدونة، 2006، ص242).

وهكذا برز غداة الاستقلال تيارين التيار الأول ويمثله الأصوليون المدافعين عن شعار العروبة والإسلام والوطن مؤكدين أن صلاح الأمة الجزائرية يتحقق بالتعريب وإدخال اللغة العربية في مجال التعليم واعتماده كأداة ووسيلة للتعبير في جميع الميادين بما فيها الإدارية والسياسية، ومنه اتحاد جميع أطياف المجتمع الجزائري في بوتقة الهوية والثقافة الوطنية.

ويمثل التيار الثاني المستغربين الذين حاولوا المحافظة والإبقاء على الوضع الفرنسي والزج بالجزائريين في دهاليز الثقافة الغربية واعتناق مبادئ وقيم غير قيمهم وهذا ما يعبر عن امتداد ظاهرة الاستعمار في القطر الجزائري حتى بعد المقاومة، وهو استعمار أكثر شراسة وهمجية إن سلخت فيه الذوات من جلدتها ولبست ثوبا غير ثوبها، وتشبعت بثقافة غير ثقافتها، وهو ما عبر عنه المفكر عبد الله شريط في كتابه معركة المفاهيم "قاومنا السلطة السياسية والوجود العسكري واحتلال الأرض فتخلصنا منها جميعا، ولكن لم نقاوم... التراث الفكري والأدبي والثقافي والفني الذي تسرب إلينا، والذي كان ثمرة حضارة بعيدة عن مستوانا بل عشقنا كل ذلك، وأهملنا ثقافتنا وما نزال، ولم نقاوم لغتها التي فصلت مثقفيها عن شعبهم، بل اعتبرناها هي المنقذ لنا من التأخر، وما زلنا نعتبرها كذلك". (شريط، د.س، ص135).

ومن الأسباب الداعية إلى التعريب وتعليم اللغة العربية في نظر عبد الله شريط هو أن لغة المستعمر لم تطغى على لغة الأم للشعب الجزائري بل حتى على لهجاتهم كوسيلة للتواصل بين الفئات العامة من المواطنين، ولم يسلم من الاستلاب اللغوي والثقافي كل من الطبقة المثقفة وغير المثقفة، وقد عانت هذه الأخيرة من سوء الفهم، ومن تعتيم الحقيقة بل وحتى من عرقلة التواصل والنقاش بينها، وبين الطبقة المثقفة والتي إما أن تستخدم اللغة الفرنسية كلغة للتخاطب بالنسبة للمفرنسين الذي درسوا على يد الغرب أو الفصحى للمعربين ممن درسوا على يد المشارقة، وأمام هذا الوضع حسب شريط لابد من مراقبة اللهجات دون الانتقاص أو الحط من قيمتها بكسر كل نزعة متعالية عنها، وثراء اللغة مرهون بتداولها في السياق الاجتماعي، وباستخدامها في جميع الميادين "وهذا ما يغفل

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

عنه البداغوجيون كثيرا، في تهيئة من سيترشح لتعلم الفصحى من الصغار أو من الكبار أما الفائدة الكبرى التي تجنيها من هذا التطوير لو حدث، أو يحدث يوما فهو أنه يمكننا من مراقبة هذا اللهجات والسيطرة عليها وتوجيهها حتى تأخذ شيئا فشيئا طابع اللغة الثقافية أو تنضم إلى لغتها الأصلية ليصبح مجتمعنا يوما يتكلم كما يكتب". (شريط، د.س، ص24).

وعلاوة على هذه الأسباب فإن اللهجات العامية أو اللغة الشفهية التي يتخذها العوام كأداة تخاطب لا تصلح للتعبير عن العلوم ولا عن الأدب ولا يمكن اعتمادها كوسيلة تواصل بين شعوب بالأمة العربية فهي لا تكاد تخرج أو تنفك عن الجماعة التي تستخدمها في حدود الإقليم الواحد، ولهذا السبب لا ينبغي اعتمادها كلغة تعلمية في المدارس، والواجب الاعتراف بوجودها كأداة للتبليغ الطبيعي، "وهنا يتساءل الأستاذ عبد الله شريط إلى متى سيظل مجتمعنا مجتمعين في حياته الثقافية واللغوية، تعيش أكثريته في العصر البدائي وأقليته في العصر الذري هذه الغربة يرجعها الأستاذ إلى إشكالية العلاقة بين اللغة والمجتمع التي لم تدرس بشكل جيد". (بن دحمان وآخرون، 2015، ص263).

خلقت الهوة الموجودة بين المثقفين وعامة الناس بصفة عامة والقراء بصفة خاصة ما يسميه عبد الله شريط بغربة المثقف، فلا القراء استفادوا من إنتاجات وإبداعات أبناء وطنهم، ولا المثقفين عرفو واشتهروا في بلدهم فهم أقرب إلى البلدان الخارجية منه إلى وطنهم، "فالمثقف هو من يمتلك مادته ليتصرف فيها ويخضعها لقانون التطور العام". (شريط، 1981، ص21).

4- هل التعريب ممكنا

بعد استعراضنا لجملة أسباب ودوافع التعريب بالقطر الجزائري فلنا الحق أن نتساءل عن الآليات والميكانيزمات التي تجعل التعريب ممكنا بمعنى إذا كان التعريب يشكل هاجسا مشروعا بالنسبة للمثقفين خاصة والجزائريين عامة، فكيف يمكننا تحقيقه وتطبيقه على أرض الواقع؟، وهل هو أمر مقدس يستوجب القيام بثورة فكرية لغوية على جميع الأصعدة والميادين أم أنه ينبغي تكيفيه وأقلمته حسب الأوضاع والأيديولوجيات التي تسبب في وجودها المستدير ماذا بشأن اللغة الفرنسية هل مشروع التعريب يقصى من طريقه كل إمكانية لإبقاء هذه اللغة أم أنه يبنى على إزدواجية اللغة مادام الشعب الجزائري انقسم إلى فئتين دعاة التعريب ودعاة التغريب؟

إن نجاح التعريب كمشروع في الجزائر حسب مفكرنا مرهون ومشروط بجملة من العوامل ومن أولى هذه الشروط والعوامل عقد صلة وثيقة بين المنطق اللغوي واللغة كنسق وكنظام من الرّموز والعبارات والقواعد والتراكيب اللغوية مع المجتمع، لأنه في نظر شريط قداسة اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ولغة العروبة والإسلام منحها صبغة جمالية مقرونة دوما بالقيم الأخلاقية والشعائر الدينية وبالخطابات الأدبية مشبعة بالمصطلحات الفلسفية والصور البلاغية وهذا بالطبع من شأنه أن يسلب اللغة وظيفتها ويفرغها من محتواها ولذلك وجب كسر كبرياء المستخدمين للغة لأن العيب لا

يعود إلى اللغة بحد ذاتها بل ستظل تحتفظ بقيمتها في ذاتها، وإنما في من أساء استخدام هذه اللغة من المثقفين والفنانين، ويتحقق هذا المبتغى بالاستعمال والاستخدام اليومي للغة والعمل على تطويرها "ليس في اختيارنا أبدا أن نضع لغتنا هناك جانبا في مخبر بعيد عن الاستعمال وعن الحياة، ونستعمل لغة أخرى في المدرسة والإدارة والحياة العامة ريثما تكبر عروستنا العربية في المخبر وحدها وتستكمل خصبها" (شريط، د.س، ص48).

إن قيمة اللغة لا تستمد من طابعها الجمالي والفني بل من استخداماتها التداولية في ميدان التعليم وفي التجارة والسياسة والاقتصاد وغيرها من المجالات الحياتية، وحل هذه المعضلة ولتفادي انشقاق المجتمع وتصدع فئاته على علماء اللغة أن يكونوا على صلة ومعرفة بعمق المشكلات من تواجه المجتمع وطموحاته، إضافة إلى دور المجامع اللغوية وفكرة مجمع لغوي ضخم تطلع إليها مولود قاسم نايت بلقاسم وفكرته تجلت في إضافة مجموعة من الأكاديميات مثل أكاديمية الطب والفنون إلى جانب أكاديمية اللغة، لأن إقامة مجمع لغوي فقط تبقى وظيفة محدودة، "وفكرته تتجلى وتكمن في إقامة مؤسسة تكون في مستوى تحديات العصر وفي مستوى عظمة هذا الشعب... بهدف إسماع صوت الجزائر كلمة الجزائر والحضور الدائم لها". (بوحميدان، د.س، ص310).

ويطالب عبد الله شريط كعالم اجتماع بتوحيد لغة المجتمع بدل اعتماد لغتان، وهذا ما وقع بالفعل فالجزائريون يتكلمون لغة هجينة لا هي بالفصحى ولا هي عامية بل هي مركبة من عدة كلمات ومفردات من لغات مختلفة ما يجعلها مستعصية على الفهم والمعرفة العلمية، تتطلب لغة مطواعة، لغة قابلة للفهم والاستيعاب من قبل جميع فئات المجتمع، ولهذا ينبغي حث المجتمع استخدام المفردات اللغوية العامية المتفق عليها من قبل الجميع، وفي هذا المضمار يستشهد عبد الله شريط بتجربة النظام الاشتراكي الذي حمل البنية التحتية والفوقية المجتمعات الاشتراكية على الامتثال لمبادئ النظام الاشتراكي.

ويرى أن تبني مثل هذه العرف في الجانب اللغوي بالنسبة لمجمع اللغة وعلماء اللغة هو الأنسب لتفادي الاستعمال الحر للمفردات اللغوية من جهة والاستخدام السلطوي لها، ويوافق الدكتور طه حسين في مؤاخذته للحكومات العربية "على أنها لم تحمل الناس على استعمال المفردات التي يخرجها المجمع اللغوي من مصنعه الضخم، وهذه المؤاخذة تكون في محلها لو كانت الحكومات العربية مثل الحكومات في العالم الاشتراكي". (شريط، 1981، ص32).

وحتى تنجح عملية التعريب لا بد من جعل اللغة العربية لغة علمية تساير التطور والمستجدات العلمية في كل زمان وتنفتح على الثقافات وعلوم الغرب فليس المطلوب من المثقفين الجزائريين نقل المصطلحات والعلوم من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية، وتلقين ما تعلموه إلى تلاميذ

المدارس وطلبة الجامعات لأن هذه السياسة تجعل من المعلم أو المثقف هو المحور والمركز ووجوده ووجود فاعلا، أما المتعلم مجرد متلقي للمعلومات والمعارف يستقبلها دون نقد أو تمحيص وجوده منفعة في العملية التعلمية وهو ما تعكسه مقاربة التدريس بالأهداف التي تنبتها المنظومة التربوية الجزائرية في العقد المنصرم ولنا في تاريخيا العربي الإسلامي المجيد ما يعكس صحة ونجاعة شروط وعوامل التعريب لدى شريط، ومن ذلك ترجمة المسلمون لتراث وكتب اليونان، فلم يأخذوا عنهم ولم يهتموا ببسائط الأمور بقدر ما نقلوا الروح العلمية التي وجدت لديهم، فلقب كل من ابن سينا والفارابي بشراح أرسطو، وعرف الفارابي بالمعلم الثاني نسبة للمعلم الأول أرسطو ولم يلقبوا بمترجمي أرسطو وبالمقابل وكما يعترف بذلك المفكر الجزائري مصطفى الأشرف أن ما استفاد منه الغرب من العرب ليس العلوم بحد ذاتها ولا مناهجها بقدر ما استفادوا من توعية الفكر، وتنشيط المواهب والقدرات التي ظلت متحجرة وراكدة وعجز العرب أن يستوعبوا علوم غيرهم، وعجزت اللغة عن استيعاب المصطلحات العلمية، وانعكفت على الخطب الرنانة وعلى أنغام الكلمات وجرس العبارات، وهو ما يتفق عليه إضافة إلى شريط والأشرف كلا من جاك بيرك وزكي نجيب محمود، فاللغة العربية حسب شريط: "لم تقفز إلى المستوى الذي تعرف اللغات الأوروبية الراقية في العصر الحديث، وهذا أمر طبيعي، ولا يمكن أن يكون إلا كذلك، فلا يعقل أن تكون اللغة راقية وشعبها متأخر، ولا يمكن أن تزخر بأسماء واشتقاقات وخصائص حياة معقدة متطورة في مجتمع أمي لم يبلغ شيئا من هذا المستوى الحضاري". (شريط، 1981، ص35).

فالواجب إذن تطوير اللغة وإعادة النظر في أساليبها وقواعدها وطرق تدريسها وجعلها تسمو إلى ما يطمح إليه كل مثقف غيور على لغته ووطنه ونقلها إلى عالم الأمم الراقية عبر قاطرة التقدم وبقيادة قطار الحضارة، وإلى جانب تطوير اللغة العربية ومنحها طابع المرونة لترتقي إلى الدرجة العلمية وتساير التطورات العلمية والتغاضي عن استخدام العامية أو اللهجة الشفوية كأداة للعلم وللتعبير عن الفكر بين العرب عموما لا شيء إلا لكونها لا تصلح أن تكون لغة علمية راقية ولا لغة أدبية راقية، لابد من الاهتمام أيضا بالمثقفين بأصحاب اللغة العربية والناطقين الرسميين باللسان العربي، وبالفرنكوفونيين الناطقين باللسان الفرنسي واللغة الفرنسية بالشبه إليهم وعلى حد تعبير الكاتب ياسين "غنيمة حرب" وأن التخلي عن الفرنسية يشكل خسارة كبيرة للاقتصاد وتدني للمستوى، وسيخلق أميين أكثر من أن يكون مثقفين ولا يصلح التعريب لجميع الميادين العلمية والإدارية منها "كما أن هناك استحالة تقنية في الانتقال إلى تعريب التدريس والتعاطي في الميادين العلمية (الطب) والإنبائية (Informatique)... في حين أن قرار التعريب في الجزائر يشتمل على المعاملات الرسمية، ويضع المسؤولين أمام مسؤوليتهم في تطبيق ذلك في إدارتهم كما يشتمل على تعريب التدريس الجامعي كما عرب في المرحلة الإبتدائية وفي المرحلة الثانوية". (الزين، 1997، ص ص 215-216).

وهذا ما يظهر أن سياسية التعريب التي انتهجتها الجزائر وعرفت ذروة تطورها بعد الاستقلال لم ترضي الفرنسيين فحسب كأجداد الوطن وإنما حتى الفرنكفوريين اللذين نجحت فرنسا في إعدادهم وفق القوالب وخطط أعدتها لتستمر في سطوها وسيطرتها عن بعد ومن جانب آخر تدني مستوى دعاة التعريب ويرجع ذلك إلى العجز الحاصل في عدد المعربين الأكفاء، وفي غياب أطر التعريب خاصة في المناطق التي استولى عليها المستعمر بنسبة أكبر من غيرها كمدن الشمال مقارنة بالجنوب، فلم يجد التعريب عائقا مع المدن الصحراوية مقارنة بسكان المدن الساحلية وقد أفادنا إلى جانب هذا العائق مصطفى الأشرف بوجود عائق آخر وهو مناداة المعربين أو التيار المحافظ بتعلم اللغة العربية لوحدهم ومعاداة الفرنسية لغة العدو خاصة وأن هؤلاء المعربين ومنهم المعلمين لم يلتحقوا بسلك العليم على أساس الشهادة بل على أساس اختبارات وامتحانات مهنية "ثم أن الجزائر لم تكن لديها جامعة تقليدية إسلامية مثل الجامعة الزيتونية أو جامعة القرويين، حتى تروج الثقافة العربية الإسلامية في القطر كله، فلم تكن الجزائر سوى أطر مفرنسة أو معربة ولم يوجد مدرسون باللغتين"، (الصيادي، 1985، ص93) ومنه ومن أجل إعداد جيل ناشئ يتقن اللغة العربية ويبقى على اتصال بالمستجدات العلمية الحديثة والعالمية، يدعو عبد الله شريط إلى انتهاج سياسة التعليم المزدوج كتدعيم لعلمية التعريب وانفتاح المتعلمين على الفكر العالمي دون أي إهمال للثقافة الوطنية أو انسلاخ من الهوية الجزائر على أن الازدواجية اللغوية ليست خيارا للجزائريين بل ضرورة كوسيلة للإثراء الفكري، وأن ازدواج اللغة سيخدم التعليم "يكمن الضعف أساسا في المضمون الخاطئ الذي أعطي لمبدأ التعريب، وفي الفهم الضيق الذي أخذ به، فلا يعني التعريب في حقيقته التفريط في تعلم اللغات الأجنبية ولا التقاعس فيه... وكبار مفكر ي الإسلام في عصره النهضة... أدركوا دور تعلم اللغات الأجنبية في تطوير مجتمعاتنا وفي الأخذ بأسباب الحضارة المعاصرة... ومتى كان التعريب طريقا إلى العجز عن تعلم علوم نحن عاجزون عن تعلمها... فإنه يصبح عائقا حضاريا خطيرا". (العلوي، 1997، ص162).

وما يقصده شريط من الإزدواجية هو أن تدرس اللغة الفرنسية كلغة ثانية بعد اللغة العربية كلغة رسمية لا اعتماد اللغة العربية لتدريس بعض المواد منها الأدبية والتاريخية والروحية كالتاريخ والعلوم الإسلامية واعتماد اللغة الفرنسية كلغة علمية لتدريس العلوم الطبية والطبيعية، ويضيف مفكرها إلى إزدواجبية التعليم لنجاح مشروع وسياسة التعريب الاهتمام بكفاءة المعلم أو المدرب خصوصا وأن المعلمين الجزائريين لم يلتقوا التعليم والتكوين الكافيين بسبب الظروف الانتقالية إلا عرفتها الجزائر وحاجتها الماسة إلى مدرسين معربين خصوصا إذا علمنا أنه حتى المدرسين الوافدين إلى الجزائر من الوطن العربي لجأوا إلى تبسيط وتشرح المعطيات العلمية بلهجاتهم على أن الهدف هو

تعليم المتدرسين اللغة العربية الفصحى، ومادام الهدف أسمى بالنسبة للجزائريين جميعا (معلم/متعلم)، وهو الحفاظ على الهوية والشخصية والتحرر من كل تبعية ثقافية فإنه ما من شك في سعيهم الدؤوب لتحقيق هذه الغاية عن طريق التعليم باعتباره وسيلة لا غاية "فالمعلم هو وحدة الذي لا ينتظر غيره أن يعلمه شيئا، وقضية مدرستنا... هي قضية المستقبل قضية جيل سيتكون منه مجتمع الغد بلادنا". (شريط، 1981، ص31).

لكن ما من مانع ولا إعتراض على ما ذهب إليه مصطفى الأشرف فإنه ينبغي ترتيب الأوليات وتقديم الكفاءة في التعليم على حساب أن يكون المعلم معربا لا يفقه لغته ولا علومه والحال نفسه ينطبق على مدرسي الفرنسية واشتراط الكفاءة للتدريس وازدواجية اللغة هو العلاج الثوري لمشروع التعريب والتعليم على حد سواء ومن أجل تحقيق "إزدواجية بناءة يصير بها كل مفرنس قادرا على تدريس مادته العربية وكل معرب قادرا على الإطلاع والقراءة والمراجعة من مؤلفات أجنبية مع العمل باستمرار على رفع مستواهم العلمي". (شريط، د.س، ص64).

إن الاهتمام بمسألة التعريب يعني الإهتمام بالشكل والمضمون بالظاهر والباطن وأنه من الصواب اعتبار اللغة والفكر وجهان لعملة واحدة ولذلك وردا على الأشرف ليست اللغة والتعريب هي الشكل والتعليم هو الجوهر، فالجوهر ملازم للشكل والشكل ملازم الجوهر تلك القاعدة الأريسطية فالتعريب لابد أي يخدم التعليم ويعبر عن برامجه ومناهجه ولا معني لهذه الأخيرة إلا بوجود ولغة تكشف عن كنهها وجوهرها "كذلك الأمر بالنسبة لفصل الجوهر الذي هو التعليم عن الشكل الذي يصاغ فيه وهو اللغة إننا نستطيع أن نحصل على (الوطنية) جزائرية بالحروف اللاتينية، ولا نستطيع أن نكتب بالفرنسية حتى أسماءنا دون أن نحرفها فكيف نستطيع أن نكيف بها عقلا ومشاعر وتصورا (الوطنية) الطفل الجزائري باللغة الفرنسية". (شريط، 1981، ص44).

وبعد أن أدرجنا بشروط عوامل سياسة التعريب في الجزائر من قبل مفكرين جزائريين ممن حملوا سلاح القلم لمجابهة كل من يتوق إلى خلخلة كيان الأمة الجزائرية وغزو ثقافتهم وعلى رأسهم عبد الله شريط لنا أن نتساءل هل نجحت سياسة التعريب في الجزائر كمشروع النهوض بالأمة والشعب الجزائري، ماهي أهم النتائج المحققة والانتقادات التي طالت هذا المشروع؟.

ما من شك أن العديد من الدول فرضت هيمنتها الفكرية والثقافية بفضل سياستها اللغوية ومن أمثلة ذلك أمريكا التي اجتاحت العالم بلغتها ولقد دعت وزراه التعليم العالي والبحث العلمي مؤخرا تبني اللغة الانجليزية للتدريس في الجامعات للإلتحاق بالركب الحضاري ومسايرة التطورات الحاصلة في الميدان العلمي ، ولعل عبد الله شريط ومفكري الجزائر أرادوا أن يسمعوا صوت الجزائر بعلمها وتقدمها المعبر عنه بلغتها.

ويمكن القول أن سياسة التعريب بالجزائر قد نجح إلى حد بعيد بعد الاستقلال الجزائري إلى يومنا هذا، ودليل ذلك تعريب التعليم في مراحله الثلاثة وبرز عدد كبير من الكتاب الجزائريين وإبداع علمائها الذين عبروا عن أفكارهم ونقلو للناشئة علومهم وقيمهم لكن ينبغي من جهة أخرى توفير الظروف المناسبة والأرضية الخصبة لكي تنمو هذه اللغة وتترعرع بفكرها ومثقفيها، وتفاديا لسطو اللغات الأجنبية على لغة الأم ينبغي الأخذ بمبدأ تكوين الأطر وفق متطلبات المجتمع ووفق مع ما يتماشى مع الواقع العلمي ومستجدات اليومي والعالم المعيش لأنه لا قيمة للغة أو فكر لا يخدم بيئته، وبعيدا عن مجتمعه، ولا قيمة للغة لا تتماشى مع الروح العلمية للعلوم والعلماء ولا تتسلح للمجهول ومن أجل ذلك لابد من النهوض بهدام اللغة والعمل على تجاوز كل العقبات التي تعترض تطورها.

5. خاتمة

وصفوة القول فإن سياسة التعريب في الجزائر والتي ناضل من أجلها تطبيقها وتفعيلها على أرض الواقع مفكرنا عبد الله شريط تعبر عن عمق وأصالة الفكر الجزائري وعن مدى تمسك الشعب الجزائري عامة والمثقفين بصفة خاصة بهويتهم وثقافتهم الوطنية والدفاع عنها ضد كل من يحاول النبش في مبادئها وقيمها، ولا يمكن لهذه السياسة أن تنجح إلا بتفعيل دور اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الذي دعا إلى القراءة والعلم، ولقد فرضت هذه اللغة وجودها عبر العالم وما زاد من انتشارها وتوسعها مثقفوها وعلمائها، ضف إلى ذلك ثورة الشبكات الاجتماعية لذلك الحديث عن التعريب ينبغي بالدرجة الأولى الاهتمام باللغة والثقافة والهوية، ويعتبر التعليم والمؤسسات التعلمية الأرضية الخصبة التي تحتضن هذا المشروع لتبدع في إنتاج مفاهيم جديدة تتماشى والتطورات الحاصلة في العالم، كما يستكمل هذا المشروع ويجني ثماره بتعليم اللغات الأجنبية كسلاح لمواجهة العولمة ونوافذ نطل من خلالها على ثقافات مغايرة، ومن نتائج التعريب الإيجابية تعزيز الشعور بالانتماء الثقافي وبالوحدة الوطنية والهوية، تمتين أواصر الوحدة العربية والإسلامية في الأقطار العربية عامة والجزائر خاصة، عقد صلة بين اللغة والفكري والواقع والتفاعل معه، المساهمة في تحقيق الإزدهار على المستوى العلمي والاجتماعي والإنساني والاقتصادي.

6. المراجع

1- محمد المنجي، الصيادي. (1985). التعريب وتنسيقه في الوطن العربي. ط4. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

2- مصطفى، الأشرف. (2007). الجزائر الأمة والمجتمع. تر: حنفي بن عيسى. الجزائر: دار القصبة للنشر.

3- غالم، محمد وآخرون. (2006). مصطفى الأشرف: مفكر في مواجهة التطرف الديني. أشغال الملتقى العلمي: الجزائر خمسون بعد الأمة/المجتمع/الثقافة. الجزائر: دار القصبة للنشر.

4- ديدونة، علي. (2006). المنظومة التربوية في الجزائر بين الأصالة والاستئصال. ط1. بوزريعة، الجزائر: منشورات دار نوريد.

5- شريط، عبد الله. (2015). معركة المفاهيم. ط2. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

6- بن دحمان، الحاج وآخرون. (2015). المفكر عبد الله شريط ومشروع النهوض بثقافتنا الوطنية. فلسفة الثقافية بالسياقات مع الأبعاد. البرهانات. أعمال ملتقى. إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية.

7- شريط، عبد الله. (1981). من واقع الثقافة الجزائرية. ط2. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

8- بوحميدان، محمد وآخرون. (د.ت). المجمع الجزائري للغة العربية الحلم الذي مات قبل أن يتحقق. ضمن كتاب أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم رمز كفاح أمة. شركة دار الأمة للطباعة والترجمة النشر والتوزيع.

9- الزين، نزار. (1997). تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية: مدخل إلى نهضة الوطن. ط1. بيروت، لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

10- بن سعيد العلوي، سعيد. (1997). الوطنية والتحديثية في المغرب. ط1. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

11- محمد المنجي، الصيادي. (1985). التعريب وتنسيقه في الوطن العربي. ط4. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

12- مصطفى، الأشرف. (2007). الجزائر الأمة والمجتمع. تر: حنفي بن عيسى. الجزائر: دار القصبة للنشر.

13- غالم، محمد وآخرون. (2006). مصطفى الأشرف: مفكر في مواجهة التطرف الديني. أشغال الملتقى العلمي: الجزائر خمسون بعد الأمة/المجتمع/الثقافة. الجزائر: دار القصبة للنشر.

14- ديدونة، علي. (2006). المنظومة التربوية في الجزائر بين الأصالة والاستئصال. ط1. بوزريعة، الجزائر: منشورات دار نوريد.

15- شريط، عبد الله. (2015). معركة المفاهيم. ط2. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
16- بن دحمان، الحاج وآخرون. (2015). المفكر عبد الله شريط ومشروع النهوض بثقافتنا الوطنية. فلسفة الثقافية بالسياقات مع الأبعاد. البرهانات. أعمال ملتقى. إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية.
17- شريط، عبد الله. (1981). من واقع الثقافة الجزائرية. ط2. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
18- بوحميدان، محمد وآخرون. (د.ت). المجمع الجزائري للغة العربية الحلم الذي مات قبل أن يتحقق. ضمن كتاب أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم رمز كفاح أمة. شركة دار الأمة للطباعة والترجمة النشر والتوزيع.
19- الزين، نزار. (1997). تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية: مدخل إلى نهضة الوطن. ط1. بيروت، لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
20- بن سعيد العلوي، سعيد. (1997). الوطنية والتحديثية في المغرب. ط1. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

7.References (In Latin letters)

1- Mohamed El-Manji, El-Sayyadi. (1985). Arabization and its coordination in the Arab world. 4th ed. Beirut, Lebanon: Center for Arab Unity Studies. (Written in Arabic)
2- Mustafa, El-Ashraf. (2007). Algeria, the nation and society. Translated by: Hanfi Ben Issa. Algeria: Dar El-Qasbah for Publishing. (Written in Arabic)
3- Ghalem, Mohamed and others. (2006). Mustafa El-Ashraf: A thinker in confronting religious extremism. Proceedings of the scientific conference: Algeria fifty years after the nation/society/culture. Algeria: Dar El-Qasbah for Publishing. (Written in Arabic)
4- Didouna, Ali. (2006). The educational system in Algeria between authenticity and eradication. 1st ed. Bouzareah, Algeria: Publications of Dar Nour. (Written in Arabic)
5- Sharit, Abdullah. (2015). The battle of concepts. 2nd ed. Algeria: National Company for Publishing and Distribution. (Written in Arabic)

6- Ben Dahman, El-Hajj and others. (2015). The thinker Abdullah Sharit and the project of promoting our national culture. Cultural Philosophy in Contexts with Dimensions. Evidence. Proceedings of the Forum. Publications of the Algerian Society for Philosophical Studies. (Written in Arabic)
7- Sharit, Abdullah. (1981). From the Reality of Algerian Culture. 2nd ed. Algeria: National Publishing and Distribution Company. (Written in Arabic)
8- Bouhamidan, Mohamed and others. (n.d.). The Algerian Academy of the Arabic Language, the Dream That Died Before It Was Achieved. In the Book of Ahmed Bin Naaman: Mouloud Qasim Naït Belkacem, Symbol of the Struggle of a Nation. Dar Al-Ummah Printing, Translation, Publishing and Distribution Company. (Written in Arabic)
9- Al-Zain, Nizar. (1997). Arabization of Education and Learning Foreign Languages: An Introduction to the Renaissance of the Nation. 1st ed. Beirut, Lebanon: Al-Matbouat Company for Distribution and Publishing. (Written in Arabic)
10- Ben Saeed Al-Alawi, Saeed. (1997). Nationalism and Modernization in Morocco. 1st ed. Beirut, Lebanon: Center for Arab Unity Studies. (Written in Arabic)
11- Mohamed Al-Manji, Al-Sayyadi. (1985). Arabization and its Coordination in the Arab World. 4th ed. Beirut, Lebanon: Center for Arab Unity Studies. (Written in Arabic)
12- Mustafa, Ashraf. (2007). Algeria, the nation and society. Translated by: Hanfi bin Issa. Algeria: Dar Al-Qasbah for Publishing. (Written in Arabic)
13- Ghalem, Muhammad and others. (2006). Mustafa Ashraf: A thinker in confronting religious extremism. Proceedings of the scientific conference: Algeria fifty years after the nation/society/culture. Algeria: Dar Al-Qasbah for Publishing. (Written in Arabic)
14- Didouna, Ali. (2006). The educational system in Algeria between authenticity and eradication. 1st ed. Bouzareah, Algeria: Publications of Dar Nourid. (Written in Arabic)
15- Sharit, Abdullah. (2015). The battle of concepts. 2nd ed. Algeria: National Company for Publishing and Distribution. (Written in Arabic)
16- Ben Dahman, Al-Hajj and others. (2015). The thinker Abdullah Sharit and the project of promoting our national culture. Cultural philosophy in contexts with dimensions. Evidence. Proceedings of the conference. Publications of the Algerian Society for Philosophical Studies. (Written in Arabic)

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

17- Sharit, Abdullah. (1981). From the reality of Algerian culture. 2nd ed. Algeria: National Publishing and Distribution Company. (Written in Arabic)
18- Bouhamidan, Mohamed et al. (Undated). The Algerian Academy of the Arabic Language, the dream that died before it was realized. In the book of Ahmed bin Naaman: Mouloud Qasim Naït Belkacem, a symbol of the struggle of a nation. Dar Al-Ummah Printing, Translation, Publishing and Distribution Company. (Written in Arabic)
19- Al-Zain, Nizar. (1997). Arabization of education and learning foreign languages: an introduction to the renaissance of the homeland. 1st ed. Beirut, Lebanon: Al-Matbouat Company for Distribution and Publishing. (Written in Arabic)
20- Ben Saeed Al-Alawi, Saeed. (1997). Nationalism and modernization in Morocco. 1st ed. Beirut, Lebanon: Center for Arab Unity Studies. (Written in Arabic)